# لغز المدينة الغارقة




محمود سالم

# لغز المدينة الغارقة

تأليف
محمود سالم



# لغز المدينة الغارقة

محمود سالم

**الناشر مؤسسة هنداوي**
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
**تليفون:** ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
**البريد الإلكتروني:** hindawi@hindawi.org
**الموقع الإلكتروني:** https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

---

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٧ ٢٥١٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

# المحتويات

# «زنجر» يجد صديقًا

كان «زنجر» كلبًا مهذبًا يعرف حقوقه وواجباته ... محبوبًا دائمًا من كل مَن يعرفه ... ولم يكن لأحد في منزل «تختخ» شكوى منه أبدًا ... فهو يأكل طعامه في مواعيد منتظمة ... ولا يسمح لنفسه أن يطلب زيادة في كمية الطعام مطلقًا ... إلا عندما كان ينتهي من مغامَرة ينجح فيها في مطاردة لص ... أو اقتفاء أثر ... فقد كان الأصدقاء جميعًا يتسابقون لإغراقه بالطعام ... خاصة «لوزة» التي كانت تتحيز له ... وتقول: إنه أذكى كلب في العالم.

لهذا كان شيئًا غير عادي في نظر «سيدة» الشغالة في منزل «تختخ» عندما لاحظت أن «زنجر» كان يأتي أحيانًا إلى باب المطبخ وقد بدا جائعًا، رغم أنَّ كمية طعامه العادية لم تنقص.

وكان «تختخ» مشغولًا في تلك الأيام بالامتحانات ... فهو لا يرى «زنجر» إلا نادرًا ... ولا يعرف ماذا حدث من تغيير في حياة صديقه العزيز ... ولكن ذات يوم بينما كان «تختخ» يتناول طعام إفطاره قالت «سيدة»: إن «زنجر» يا أستاذ «تختخ» لم يعد كما كان!

قال «تختخ» متسائلًا: ماذا حدث له؟

سيدة: لقد أصبح يطلب دائمًا كميات إضافية من الأكل ... فبعد أن أحمل إليه طعامه في الكشك الصغير في نهاية الحديقة ... ألاحظ أنه يأتي بعد فترة إلى المطبخ ويتشمم الطعام، وأضطرُّ أن أعطيه كمية أخرى.

فكر «تختخ» لحظات ثم قال: سأرى ماذا حدث لـ «زنجر»، وعلى كل حالٍ دعيه يأكل ما يشاء؛ فربما كانت شهيته قد تفَتحت عن ذي قبل.

ونسي «تختخ» الموضوع، فقد انهمك في مذاكرته، ومضت الأيام وجاءت أيام الامتحان، ولم يعد حتى يرى بقية المُغامِرين إلا عبر أسلاك التليفون.

وكانت «لوزة» أول المغامرين في الانتهاء من امتحانها ... وجاءت ذات مساء إلى منزل «تختخ» لتأخذ «زنجر» في فسحة على شاطئ النيل ... واتجهت إلى الكشك الخشبي الأزرق في نهاية الحديقة ... ولم يكد «زنجر» يشم رائحتها من بعيد حتى أطلق نباحه المُبتهِج ... وأسرع إليها ... وانحنت «لوزة» على الكلب الظريف وأخذت تُداعبه ... ثم أشارت له أن يتبعها ليخرجا معًا ... ولكن كم كانت دهشتها عندما توقف «زنجر» في مكانه ولم يتحرَّك ...

نظرت «لوزة» إلى «زنجر» متأملة وقالت: ماذا حدث لك؟! هذه أول مرة أجدك فيها مترددًا في الخروج لنزهة!

زام «زنجر» مُتألِّمًا ... ثم أخذ يتقهقر ناحية كشكه الخشبي، ووقفت «لوزة» وقد زادت دهشتها، وأخذت تُغري الكلب الأسود الذكي ليتبعها دون فائدة.

وفي هذه اللحظة سمعت «تختخ» يُناديها من نافذة غرفته ... فأسرعت إليه وما زالت الدهشة مستولية عليها من تصرف «زنجر» غير المتوقع.

ونزل «تختخ»، والتقى الصديقان في الحديقة وصاحت «لوزة»: كيف حالك؟ لقد أوحشتَني حقًّا.

تختخ: ما زلتُ غارقًا في الامتحانات.

لوزة: لقد انتهيت من امتحاناتي أمس ... وجئت اليوم لآخذ «زنجر» في نزهة على شاطئ النيل ... ولكنه يرفض!

تختخ: ماذا؟

لوزة: إنه رفض أن يأتي معي.

تختخ: شيء عجيب ... ولكن ...

وصمت لحظات ثم قال: إنَّ ثمة شيئًا ما في سلوك «زنجر» تغَيَّر ... لقد شكَت لي الشغالة «سيدة» من أنه يطالب بزيادة في وجبات طعامه العادية، وهذه أول مرة أسمع فيها مثل هذا.

لوزة: إذا كان عندك وقت ... تعالَ نعرف ما هي الحكاية؟

تختخ: لقد أخذت راحة لمدة نصف ساعة ... تعالَيْ نرَ!

واتجها معًا إلى الكشك الخشبي، وكان «زنجر» ينام أمامه ... فلما شاهدهما مقبلَين هز ذيله دون أن يتحرك من مكانه.

تختخ: شيء مدهش ... إنني لم أرَ «زنجر» منذ أكثر من أسبوع ... إلا من بعيد ... ومع هذا فهو لا يُرحِّب بي كعادته!

لوزة: لغز!

ضحك «تختخ» وقال: لغز «زنجر»! مُمكن!

تختخ: تعالَ هنا يا «زنجر»!

وقف «زنجر» متكاسلًا وتقدم من «تختخ» وهو يزوم، وانحنى «تختخ» ووضع يده على ظهر الكلب ثم قال: إنه مريض يا «لوزة».

لوزة: مريض؟

تختخ: لا شكَّ ... إنه شديد الهزال.

لوزة: لم أُلاحظ ذلك!

تختخ: إنني أعرفه على الفور ... فرغم شعر «زنجر» الغزير الذي يُخفي هزاله إلا أنني أعرفه عن طريق جس عظامه ... وهي طريقة علَّمها لي أحد الأطباء البيطريين.

لوزة: «زنجر» مريض؟! إنني حزينة جدًّا!

ونظر «تختخ» إلى كشك «زنجر» ثم قال فجأة: شيء غريب!

ثمَّ اتجه إلى الكشك تتبعه «لوزة» و«زنجر» خلفهما يزوم في ضيق، ومد «تختخ» يده داخل الكشك، ثم قال لـ «زنجر»: ما هذا يا «زنجر»؟

لوزة: ماذا حدث يا «تختخ»؟

تختخ: هناك كلبٌ آخر في الكشك ... لقد لاحظتُ أن شعرًا أصفر يَبرز من باب الكوخ، فلا بُدَّ أن كلبًا آخر هناك!

وانحنى «تختخ» على الكشك الخشبي ... ثم مدَّ يده داخلَه مرة أخرى وجذب كلبًا أصفر اللون ... شديد الهزال ... وفوجئ بأنه مُصاب إصابة بالغة في رأسه.

صاح «تختخ»: كلب مُصاب!

كان الكلب الأصفر لا يستطيع الوقوف على قدمَيه ... شديد النحول ... تبدو في عينيه نظرة حزينة.

قالت «لوزة»: إنَّ هذا يفسر سلوك «زنجر» العجيب.

تختخ: نعم ... إنه يُعطي لضيفه طعامه ... ثم يذهب إلى المطبخ للبحث عن طعام آخر.

لوزة: وهو يَرفض الخروج إلى نزهة على شاطئ النيل ... حتى لا يترك ضيفَه ... يا له من كلب كريم شهم!

تختخ: ويا لها من مشكلة لستُ مُستعدًّا لها الآن!

لوزة: دع هذه المشكلة لي وعُد أنت إلى مذاكرتك.

تختخ: إن الدكتور «فريد» هو الطبيب البيطري الذي عالجتُ عنده «زنجر»، وأقترح أن تستدعيه ليرى هذا الكلب الأصفر الحزين ... فمن الواضح أنه لا يستطيع السير حتى العيادة.

لوزة: تعالَ نطلبه تليفونيًّا!

وأسرعا إلى داخل الفيلا ... وطلب «تختخ» الطبيب، وبعد مناقشة استمرت بضع دقائق وافق على الحضور إلى الفيلا بعد نصف ساعة.

وجلس «تختخ» و«لوزة» بجوار الكلبَين ... وأخذ «تختخ» يتحدث إلى «زنجر» قائلًا: إنك كلب شهم حقًّا يا «زنجر» ... ولكن لماذا لم تحاول أن تقول لي لتحمُّل عبء هذا الضيف معك؟!

أخذ «زنجر» يزوم في هدوء ... وقد بدا سعيدًا بعد أن اشترك معه «تختخ» و«لوزة» في الاهتمام بالضيف ... وقالت «لوزة»: لعلَّ «زنجر» لاحظ أنك مشغول ... فلم يشأ أن يشغلك بمشاكله.

وأخذ «تختخ» يفحص الكلب الغريب الذي ربض ساكنًا، وقد أحنى رأسه في حزن، حتى وصل الطبيب.

أسرع «تختخ» يُقابل الطبيب عند باب الحديقة، ثم قادَه إلى الكشك الخشبي حيث أشار إلى الكلب الأصفر قائلًا: هذا هو ضيف «زنجر» الذي لم نرَه من قبل!

وشمَّر الدكتور «فريد» عن ساعديه وأخذ يفحص الكلب، ثم قال: إنه مصاب بجراح متعدِّدة، بعضها خطير ... وواحد منها في رأسه ... وأعتقد أنه تعرَّض لاعتداء من شخص أو من عدة أشخاص!

تختخ: إنه كلب غريب المنظر يا دكتور.

الدكتور: نعم ... إنه من نوع نادر الوجود في مصر ... ولا بُدَّ أن صاحبه ثريٌّ أو أجنبي؛ فهو من سلالة غالية الثمن تسمى «الكوكر»!

تختخ: وما هو علاجه؟

الطبيب: سنُنظِّف بعض الجروح التي تقيحت، وسيتناول بعض المضادات الحيوية، والمُهم أن يتغذى جيدًا.

لوزة: سأهتم بذلك.

الطبيب: أريد بعض المياه الساخنة.

وأسرع «تختخ» لتلبية طلب الطبيب، الذي استمرَّ يفحص الكلب فترة، ثم قال مُحدِّثًا «لوزة»: إن إصاباته تعود إلى أسبوع أو أكثر ... ومن المُدهِش أنه عاش بعدها.

لوزة: إن ذلك يعود إلى عناية «زنجر» به.

وعاد «تختخ» بالمياه الساخنة، وقام الطبيب بتنظيف الجراح، ووضع بعض المراهم الشافية عليها، ثم كتب «روشتة» لصرفها ... وكرر ضرورة الاهتمام بتغذية الكلب ثم انصرف.

قال «تختخ»: إنني سأعود للمذاكرة يا «لوزة» ... فهل تهتمين أنت بعلاج هذا الضيف المُصاب؟

قالت «لوزة»: طبعًا ... ولن أهتم فقط بعلاجه ... ولكن سأهتم أكثر بالبحث عن صاحبه أو أصحابه ... إنه لغزٌ صغير يستحق الحل.

# الكلب الأصفر الحزين

أصبح الكلب الأصفر الحزين هو شغل «لوزة» الشاغل ... كل يوم من الصباح الباكر حتى ساعة الغداء ... ومن المساء حتى الليل وهي بجواره هي و«زنجر» تُعطيه الدواء وتُغذِّيه، وتُعنى بجروحه ... ولم تمضِ سوى أيام قليلة حتى استرد الكلب عافيته ... وأصبح على ما يرام.

وذات صباح حضرت «لوزة» كالعادة، وكانت مفاجأة لها أنْ لم تجد الكلب الأصفر ولا «زنجر» في مكانهما المعتاد ... وأخذت تبحث عنهما في الحديقة دون جدوى ... وظلت تنتظر فترة طويلة ولم يحضرا.

وأحست «لوزة» بالضيق ... أين ذهب الكلبان؟ ولماذا لم ينتظرا حضورها إذا كانا يريدان الخروج للنزهة؟! وتضايقت «لوزة» وعادت إلى منزلها لتجد «نوسة» و«عاطف» في انتظارها.

قالت «نوسة» وهي تُقبِّل صديقتها الصغيرة: منذ فترة طويلة لم أركِ يا «لوزة».

لوزة: لم أشأ أن أضيِّع وقتك أثناء الامتحانات!

نوسة: لقد انتهَيت من امتحاناتي وجئت لأراكِ. فإنني مُشتاقة إليكِ جدًّا ... ما هي أخبارك؟

لوزة: لا شيء ... إلا لغز صغير حاولت أن أحله وحدي ولكنه ازداد غموضًا الآن ...

«نوسة» مُقاطِعة: إنك لا تَشبعين من الألغاز يا «لوزة» ... ما هو اللغز الصغير الجديد الذي يزداد غموضًا؟

لوزة: كلب أصفر من النوع الذي يدعى «الكوكر» وهو نوع نادر الوجود في مصر ... جاء به «زنجر» لا أدري من أين، واستضافه في كشكِه الخشبي ... وقد كان مصابًا إصابات بالغة ... فأحضر له «تختخ» الطبيب البيطري الذي وصف له العلاج ... وقد قمت برعايته

صحيًّا حتى استرد عافيته وكان في نيتي البحث عن أصحابه ... فالمعادي يسكنها عدد كبير من الأجانب، وأظنُّ أن من السهل العثور على أصحابه وإعادته إليهم.

نوسة: وما هي المُشكلة الآن؟

لوزة: المشكلة أنه اختفى هو و«زنجر» وحتى الآن لم يعودا.

عاطف: لعلَّ الكلب بعد أن شُفي عاد إلى أصحابه ... فليس من الصعب على كلبٍ أصحابه في المعادي — وهو في المعادي — أن يعثر عليهم.

لوزة: ولا يُصبح هناك لغز!

ابتسم «عاطف» لشقيقتِه الصغيرة وقال: إنَّ أكبر لغز في العالم هو أنتِ ... لأنكِ لا تكفِّين عن البحث عن الألغاز وكأنها غذاؤك اليومي.

تضايقَت «لوزة» وقالت: هل تشترك معي في حل اللغز أم ستقوم كعادتك بالسخرية من كل ما أفعل؟!

عاطف: سأقوم بالعملَين معًا!

نوسة: على كل حال ... إذا لم يَعُد «زنجر» حتى المساء فسيكون ذلك شيئًا مثيرًا ولا بُدَّ طبعًا أن نقوم جميعًا بالبحث عنه.

لوزة: و«الكوكر» الأصفر؟

نوسة: سنحاول طبعًا أن نجد أصحابه، إذا لم يكن هو قد وجدهم. وبالمناسبة إن اليوم هو آخر أيام الامتحانات بالنسبة لـ «محب»، وسينضم إلينا طبعًا في حل هذا اللغز الصغير.

وافترق الأصدقاء على أن يعودوا للاجتماع في المساء ... في حديقة منزل «عاطف» و«لوزة» كعادتهم.

وفي المساء ... كان الأربعة يَتقابلون معًا لأول مرة منذ أيام طويلة هي أيام الامتحانات التي انشغلوا جميعًا بها ... وبالطبع كان يَنقُصهم المغامر السمين الذكي «تختخ» الذي كان أمامه بضعة أيام أخرى وينتهي من امتحاناته ...

وجلس الأربعة ... ومرة أخرى روت «لوزة» حكاية «الكوكر» الأصفر المُصاب ... وكيف اهتمت به، وكيف اختفى ... ولم يكن أمام المغامرين الأربعة في هذه اللحظة إلا شيء واحد ... أن يذهبوا جميعًا إلى منزل «تختخ» للبحث عن «زنجر» ... هل عاد ... أم لم يَعُد بعد؟

واتجهوا جميعًا إلى حديقة منزل «تختخ» وسرعان ما وجدوا «زنجر» يستقبلهم مُرحِّبًا. وقال «عاطف»: انتهى اللغز بالعثور على «زنجر»!

لوزة: ولكن «الكوكر»!

وأسرعت «لوزة» إلى الكشك الصغير ... ولكن الكلب «الكوكر» الأصفر لم يكن موجودًا، وعادت «لوزة» سريعًا إلى بقية المغامرين قائلة: إنه لم يَعُد.

وقالت لـ «زنجر» متسائلة: أين «الكوكر»؟

رفع إليها «زنجر» رأسه ... وتشمَّم الهواء ثم أطلق نباحًا هادئًا حزينًا، كأنه يقول لها إن صديقه قد رحَل.

وقال «عاطف» معلقًا: لقد رحل الضيف ... وأُسدل الستار على لغز «الكوكر» الأصفر!

وجلس الأربعة يضحكون ... ثم شاهدوا «تختخ» قادمًا وفي يده كتاب ... فقاموا جميعًا لتحيته ... وارتفعت الضحكات مع تعليقات «عاطف» المرحة ... وقضوا أمسية لطيفة معًا ثم عاد كل منهم إلى منزله.

وبرغم أن كل الشواهد كانت تدل على أن الكلب الأصفر قد عاد إلى أصحابه بعد أن استطاع السير ... إلا أن «لوزة» قضت ساعات قبل النوم تُفكر فيه ... كان إحساسها أن القصة لم تنتهِ بعد ... وأن ثمة شيئًا في الموضوع يستحق البحث ... مثلًا لماذا أصيب «الكوكر» الأصفر؟ لقد قال الطبيب إنه تعرض لاعتداء قاسٍ من شخص أو أشخاص ... فلماذا اعتدوا عليه؟ وأين كان أصحابه؟ ولماذا لم يبحثوا عنه؟ وهل تمَّ الاعتداء قريبًا من منزل «تختخ»؟ أم كان بعيدًا عنه؟ ... إن هناك أسئلة كثيرة تحتاج لإجابة ... ولكن كيف؟

ولاحظ «عاطف» انشغال «لوزة» وحاول أن يسألها ... ولكنها لم تَقُل له شيئًا عما تفكر فيه ... كانت تعرف جيدًا أنه سيسخر منها ... وهي ليست على استعداد لسماع سخريته.

ونامت «لوزة» وهي تحلم بالكلب الأصفر الجميل ... ومصيره بعد أن شُفي من جراحه.

وفي صباح اليوم التالي أسرعت إلى منزل «تختخ» وحدها ... إن «زنجر» هو مفتاح الإجابة على هذه الأسئلة كلها ... ولا بُدَّ أن تجد وسيلة لإفهامه ما تريد ... ولكن المفاجأة الثانية التي كانت بانتظارها ... أن «زنجر» لم يكن موجودًا.

ودقَّ قلب «لوزة» سريعًا ... إن اختفاء «زنجر» يومين متتالين في نفس الموعد يعني أن شيئًا يحدث ... ولا بُدَّ أن هذا الشيء خاص بـ «الكوكر» الأصفر ...

وذهبت «لوزة» إلى «سيدة» الشغالة ... وسألتها عن «زنجر» فقالت: لقد خرج أمس مبكرًا بعد أن تناول طعام الإفطار ... ولكنني لاحظت أنه أخذ شيئًا في فمه ... لا أدري ما هو ...

لوزة: وهل تكرَّر هذا اليوم أيضًا؟

سيدة: نعم ... إنه يأخذ بعض الطعام فيما أظن ... حدث هذا في الإفطار والغداء أمس ... وفي الإفطار اليوم.

وطارت «لوزة» فرحًا ... إنَّ المسألة واضحة جدًّا ... ف «زنجر» يأخذ بعض الطعام إلى الكلب «الكوكر» ... ومن السهل تتبُّع «زنجر» لتعرف أين «الكوكر» الآن. وأسرعت إلى الحديقة وجلست تحت ظل شجرة، وأخرجت قصة ممتعة كانت تقرؤها ثم انهمكت في القراءة.

مضى الوقت بطيئًا، ثم ظهر «زنجر» ... وأسرع إلى «لوزة» يقفز حولها فقالت له: هل تخفي عني شيئًا يا «زنجر»؟

نبح الكلب الأسود الذكي كأنه ينفي عن نفسه هذه التهمة ... فقالت «لوزة»: على كل حال سوف نعرف الآن.

وجلس «زنجر» تحت قدميها ... وأخذت «لوزة» تُحدثه بخواطرها كلها ... وتطلب منه أن يساعدها في العثور على الكلب «الكوكر»، وكالعادة كان «زنجر» يهز ذيله موافقًا.

وحان موعد غداء «زنجر» وجاءت «سيدة» بطبق اللحم إلى الكشك الخشبي وأسرع «زنجر» إليه ... فتناول قطعة واحدة ... واحتفظ بالقطعة الثانية الكبيرة، وبعد أن شرب بعض الماء، أسرع يحمل القطعة وينظر إلى «لوزة» التي فهمت أنه يستدعيها للخروج.

خرجت «لوزة» خلف «زنجر» الذي مشى مسرعًا مجتازًا الشارع الذي به منزل «تختخ» ثم انحرف يسارًا ... وسار وخلفه «لوزة» وقلبها يدق مسرعًا، فهي مقبلة على مغامرة صغيرة وحدها ... قد تكشف لغزًا كبيرًا وتُثبت بهذا لبقية المغامرين أن إحساسها لا يخيب.

ومضى «زنجر» حتى غادر الشوارع التي كانت خالية من المارة إلا القليل في هذه الساعة من النهار حيث تشتد الحرارة.

ومضى «زنجر» و«لوزة» خلفه حتى غادرا الشوارع المأهولة واتجها إلى حيث يقع شارع النادي الجديد خارج المعادي ... وكانت «لوزة» تتوقع في أي لحظة أن تجد «الكوكر» الأصفر ... ولكن فجأة برز من شارع جانبي كلب مُتشرِّد ضخم ... نظر إلى «زنجر» ثم كشَّر عن أنيابه ... لقد شم رائحة اللحم في فم «زنجر»، فمن الواضح أنه كان جائعًا ... ووقف الكلبان وجهًا لوجه ... وزام كلٌّ منهما ... ثم انقضَّ الكلب الضخم على «زنجر» فاتحًا فمه ... مبرزًا أنيابه البيضاء الضخمة.

وزاغ «زنجر» جانبًا ... ولكن الكلب استمر في هجومه ... واضطر «زنجر» إلى إلقاء قطعة اللحم ... ليتفرَّغ للدفاع عن نفسه ... ووقفت «لوزة» مُرتاعة وهي ترقب الصراع الرهيب بين الكلبين على قطعة اللحم التي كانت مُلقاة على الأرض.

كان الكلب شرسًا وجائعًا ... والمعركة عنيفة ومُحتدِمة ... ولم تدرِ «لوزة» ماذا تفعل ... ولم يكن هناك إنسان يُمكن أن تطلب مساعدته.

# لوزة التي لا تهدأ

كان «زنجر» يدافع بشجاعة عن قطعة اللحم الملقاة على الأرض … وقررت «لوزة» أن تحسم الصراع … فأخرجت منديلها وأمسكت بقطعة اللحم وأسرعت تجري … لقد ظنَّت أن هذا سيَحسم الموقف … ولكن الكلب الجائع الشرس أسرع يَجري خلفها … وكاد يصل إليها، فارتكنت إلى حائط منزل قديم ووقفت لا تدري ماذا تفعل.

ولكن «زنجر» تدخَّل … وتدخَّل بطريقة لا تخطر على البال … لقد انقضَّ على رقبة الكلب المتشرِّد وعضَّه عضةً أطلقت نباح الألم من فمه … وأسرع يبتعد جاريًا وهو يعوي.

ووقف «زنجر» يلهث ويلعق فمه … ثم سارا … «زنجر» في المقدمة وخلفه «لوزة»، وسرعان ما وصلا إلى فيلا منعزلة … دخل «زنجر» من بابها وأطلق نباحًا خفيفًا … وجاء نباح آخر ردًّا عليه … ودخلت «لوزة» إلى حديقة مُهمَلَة … قد ارتفعت فيها الأعشاب دون ترتيب … ورأت الكلب الأصفر جالسًا … ولكنه لم يكد يراها حتى قفز واقفًا وأسرع يرحِّب بها … فلم ينسَ «الكوكر» الأصفر ما فعلته الفتاة الرقيقة من أجله.

وألقت إليه «لوزة» بقطعة اللحم فانقضَّ عليها وأعمل فيها أسنانه … بينما جلس «زنجر» بجواره راضيًا …

نظرت «لوزة» حولها … كان واضحًا أن الفيلا مهجورة منذ فترة ليست قصيرة … فالنوافذ عليها تراب … والحديقة مُهمَلَة … والسلالم عليها أوراق بالية ألقت بها الريح. إذن ماذا يفعل «الكوكر» هنا؟

ودارت حول الفيلا … ولم تتردَّد أن تُنصِت حول النوافذ والأبواب … ولكن لم يكن في الداخل أي صوت … كان كل شيء صامتًا …

ومرة أخرى خطر لها السؤال نفسه: ماذا يفعل «الكوكر» الأصفر هنا؟

الإجابة بسيطة وواضحة ... إن أصحابه قد هجروا الفيلا وتركوه.

ولكن يأتي سؤال آخر ... لماذا تركوه؟

إن الناس لا تترك كلابها ... فهي أصدق صديق للإنسان ... خاصة إذا كان كلبًا من نوع «الكوكر» النادر.

وفجأة خطر لـ «لوزة» خاطر جعل شعرها يقف ... ورعدة قوية تسري في بدنها ... هل مات صاحب أو صاحبة الكلب فجأة؟ وكان الكلب خارج الفيلا؟ إن هذا ممكن؟

وأخذت تنظر تحت قدميها إلى الحشائش النامية ... لعلها تعثر على شيء ما ينير لها السبيل ... ولكن لم تكن إلا آثار الإهمال ... وأوراق الجرائد التي حملتها الريح، والأتربة ... وحنفية غير مُحكمَة الإغلاق تنزل منها قطرات المياه ... ولعلها كانت وسيلة «الكوكر» للشرب وإلا لمات عطشًا ... فلم يكن في إمكان «زنجر» أن يحمل له المياه.

ظلت «لوزة» واقفة تنظر حولها بعيدًا ... كان أقرب سكن إلى الفيلا يبعد أكثر من مائتي متر ... والشمس حارقة، وقد آن لها أن تعود لتروي كل ما حدث لبقية المغامرين، وقالت لـ «زنجر»: هل تعود معي؟

وهز «زنجر» ذيلَه مرات ... ثم دار حول «الكوكر» الأصفر ونبح نباحًا خفيفًا كأنه يستأذنه في العودة ... ومرَّت «لوزة» بيدها على شعر «الكوكر» الناعم ثم اتخذت طريقها عائدة بسرعة إلى منزلها.

ولحقت بطعام الغداء في الدقيقة الأخيرة ... وجلست تأكل وهي شاردة بينما كان بقية أفراد الأسرة يتناولون البطيخ المثلج ... ولاحظت والدة «لوزة» ... شرودها ... فقالت تسألها: خيرًا يا «لوزة» ... تبدين شاردة الذهن!

نظرت إليها «لوزة» ثم قالت: هناك لغز يشغل بالي.

قال والدها في حنان: ألم تَكُفِّي عن شغل ذهنِك بهذه الألغاز؟

قالت «لوزة»: لقد أنهيت امتحاناتي بتفوق ... أليس كذلك؟

قالت «الأم» باسمة: إن ما يعجبني فيك هو اهتمامك بدروسك ... ونجاحك المتواصل، وليس عندي ما أعترض عليه سوى خوفي عليكِ.

الوالد: وما هو اللغز الجديد؟

لوزة: كلب جميل من نوع «الكوكر» لا يجد صاحبه.

الأم: شيء مُؤلم حقًّا ... وماذا ستفعلين؟

لوزة: سأعرض الموضوع على المغامرين ... وسوف نرى ما نفعله ... ولكن المشكلة أن «تختخ» ما زال أمامه يوم آخر للامتحان.

الأم: انتظري يومًا.

لوزة: إنني لا أستطيع الانتظار دقيقة واحدة.

تدخل «عاطف» في الحديث لأول مرة قائلًا: هل من جديد يا «لوزة»؟

لوزة: نعم ... وعندما نجتمع في المساء سأَروِي لكم ما حدث.

وفعلًا ... عندما هبط المساء في المعادي، وغابت الشمس، كان المغامرون الأربعة يجلسون معًا في الحديقة ... وبدأت «لوزة» تروي لهم مغامرتها مع «زنجر» والكلب المتوحش الذي هاجم «زنجر»، ثم ذهابها إلى الفيلا المهجورة ... وقالت «لوزة»: وقد وجدتُ «الكوكر» هناك ... ومن الواضح أن صاحبه أو أصحابه كانوا يسكنون في هذه الفيلا وأنهم إما غادروها ... أو ...

نوسة: أو ماذا؟

لوزة: أو أنهم في داخلها ... ولكن موتى ...

ساد الصمت بعد هذه الجملة ... فكلمة الموت ليست كلمة ظريفة ... وقال «محب» مبددًا الصمت: الحل الوحيد أن نَفتح الفيلا.

«لوزة» متحمِّسة: نعم ... لا بُدَّ أن نفتح الفيلا ... دعونا نذهب الآن.

عاطف: يا لكِ من متسرعة يا «لوزة» ... إن فتح مكان مغلق ليس فيه أحد، هو شيء من اختصاص رجال الشرطة ... ولا بُدَّ له من إجراءات ... ثم افترضي أننا وَجدنا هناك بعض الموتى ...

أشارت «نوسة» بيدها لـ «عاطف» ليتوقف وقالت: دعونا من حكاية الموتى هذه ... وتعالوا نسأل: ألا يمكن أن يكون هذا «الكوكر» قد اتخذ هذا المكان لإقامته ... وأنه ليس له علاقة بالفيلا؟

محب: هذا مُمكن طبعًا.

لوزة: إن ما يحسم المسألة هو أن ندخل الفيلا ... إنني متأكِّدة أن وجود الكلب هناك يتعلق بسرٍّ ما ... ولا بُدَّ من كشف هذا السر!

محب: في هذه الحالة لا بُدَّ من اللجوء إلى الشاويش «فرقع»، إنه مُمثِّل القانون، وهو صاحب الحق الوحيد في فتح الفيلا ... و ...

ولم يُكمل «محب» جملته ... فقد ظهر «تختخ» في هذه اللحظة ... وسرعان ما اجتمع حوله الأصدقاء وقال «محب»: ماذا أتى بك؟

تختخ: إنني في راحة لمدة ساعة ... وقد سألت عن «لوزة» تليفونيًّا فقالوا لي إنكم مجتمعون في الحديقة، فقلت أحضر لأقضي معكم بعض الوقت ثم أعود إلى البيت.

عاطف: هل الامتحانات على ما يرام؟

تختخ: الحمد لله ... وغدًا آخر يوم.

لوزة: إن هناك أخبارًا هامة جدًّا تتعلَّق بالكلب «الكوكر»!

ابتسم «تختخ» قائلًا: طبعًا ... لا بُدَّ أنك فحصت حكايته جيدًا وخرجت منها ببعض الاستنتاجات.

لوزة: ليست استنتاجات فقط يا «توفيق»، ولكنها معلومات أيضًا.

تختخ: معلومات ... من أين؟

لوزة: إن كلبك العزيز «زنجر» هو السبب ... لقد تبعتُه ... فإذا هو يحمل جزءًا من طعامه إلى الكلب «الكوكر» ... في حديقة فيلا مهجورة ... وهناك رأيت الكلب ... واستنتجت أنه كان يعيش في الفيلا مع أصحابه وأنهم، إما هجروا الفيلا وتركوه ... وإما أنهم ...

وترددت «لوزة» قليلًا فأكمل «محب»: وإما أنهم داخل الفيلا وحدث لهم شيء سيِّئ ... ماتوا مثلًا.

بدا الاهتمام على وجه «تختخ» وقال: إنَّ ذلك شيء مثير حقًّا!

لوزة: أليس كذلك؟

تختخ: طبعًا ... وإنني أتوقَّع أن يكون هناك سرٌّ ما خلف هذا الكلب ... فليس من المعتاد أن يهجر الناس كلابهم بهذه الطريقة ... خاصة وهو كلب من نوع نادر في بلادنا ... وفي الوقت نفسه كان مصابًا عندما عثرنا عليه في كشك «زنجر».

صاحت «لوزة» مبتهجة: هذا ما قلته بالضبط ... لقد كنت متأكدة أنك ستوافقني على أن هناك سرًّا يستحقُّ أن نكشفه.

تختخ: سأنتهي من امتحاني غدًا الساعة الثانية عشرة ظهرًا ... وسنَذهَب لفحص الفيلا.

لوزة: لقد فحصتها من الخارج جيدًا ... وليس هناك شيء يمكن أن يكون دليلًا أو شيئًا من هذا القبيل، ولا بُدَّ من دخول الفيلا.

محب: وقد اقترحتُ أن نذهب لمقابلة الشاويش «علي» ونُحاول أن نُقنعه بفتح الفيلا.

تختخ: كلام معقول جدًّا.

لوزة: كيف نلتقي غدًا؟

تختخ: أمام المدرسة في الساعة الثانية عشرة ... ويَكفي أن تأتي أنتِ يا «لوزة» ... وفي المساء نجتمع جميعًا.

وقضى «تختخ» بقية ساعة الراحة مع المغامرين في نقاش حول الكلب «الكوكر» الأصفر ... ثم انصرفوا جميعًا ... على موعد في الغد ... وعندما نامت «لوزة» تلك الليلة ... كانت تحلم بلغز مثير ...

# كيف نفتح الباب؟

في الساعة الثانية عشرة ظهرًا بالضبط كانت «لوزة» تقف في انتظار «تختخ» أمام المدرسة ... وقد خرج إليها متهللًا ... فقد أدى امتحانًا طيبًا ... وأصبح الآن حرًّا يستطيع الاستمتاع بإجازته ... فإن جائزة الطالب المجتهد هي الإجازة الممتعة.

ولم يُضيِّع «تختخ» وقتًا في الحديث مع زملائه كعادة التلاميذ بعد الامتحانات، بل أمسك «لوزة» من ذراعها قائلًا: هيا بنا.

واتَّجها فورًا إلى قسم الشرطة ... ولكن لسوء الحظ لم يجدا الشاويش «فرقع» هناك، وعَلِمَا أنه خرج لتحقيق شكوى ... وسيعود بعد ساعة ... فقال «تختخ»: لا بأس، هيا بنا إلى الكازينو نشرب كوبًا من عصير الليمون المثلج ... ثم نعود ...

واتجها إلى الكازينو ... وكانت مصادفة طيبة عندما وصلا إلى هناك أن وجدا الشاويش «علي» واقفًا بين عدد من الناس يتحدث ويشير بيديه، فقالت «لوزة»: هيا بنا إليه.

تختخ: ليس الآن ... بعد أن ينتهي من هذه الخناقة، وعلى كل حالٍ نحن نستطيع مراقبته من الكازينو.

وجلسا ... وعيونهما على الشاويش الذي كان يَصيح غاضبًا ... مُهدِّدًا ... وبعد فترة انتهى الشاويش من استفساراته ... ثم اتجه عائدًا إلى القسم ... ووقع بصره على «تختخ» و«لوزة» يجلسان معًا ... فضاقت عيناه ... واقترب منهما فأسرع «تختخ» واقفًا وقال: مرحبًا يا شاويش «علي».

الشاويش: ماذا تريد؟! إنني أرتاح منكم طول العام الدراسي، ولا تكاد تبدأ العطلة الصيفية حتى تبدأ متاعبي.

تختخ: أظن أنه لن يكون جزءًا من متاعبك أن تشرب كوبًا من الليمون المثلج الذي يساعد على تهدئة أعصابك بعد هذه الخناقة.

بدت الريبة على وجه الشاويش ... ولكن «تختخ» قال مؤكدًا: ليس لنا أي دخل بهذه الخناقة ... ولست أعتقد أن خلفها لغزًا يهمنا حله.

هز الشاويش رأسه غير مصدق ... ولكنه جلس ... وبدت «لوزة» متحفزة للحديث، ولكن «تختخ» أشار لها أن تصمت وأن تتركه يتصرف ... وبعد أن رشف الشاويش رشفة طويلة من كوب الليمون قال «تختخ»: هناك شيء مريب يا شاويش يحدث في مكانٍ ما من المعادي ... وقد قلنا إنه ربما يُهمُّك أن تعلم ما هو.

وضع الشاويش الكوب محدثًا صوتًا عاليًا وقال: إذن ... هناك شيء مريب.

تختخ: بالضبط يا شاويش ... شيء مريب جدًّا.

الشاويش: ما هو؟

تختخ: فيلا ... فيلا مهجورة يا شاويش ... يُخشى أن يكون أصحابها في داخلها!

الشاويش: نعم ... تقول فيلا مهجورة ... ثم تقول إنَّ أصحابها في داخلها؟!

تختخ: نعم يا شاويش ... إنها لم تُفتح منذ فترة طويلة ... ولا أحد يدري ماذا جرى لأصحابها ... ربما يكونون ... ربما يكونون ...

الشاويش: لماذا أنت متردِّد ... ربما يكونون ماذا؟

تختخ: يكونون موتى في داخلها.

قفز الشاويش من مكانه كأنما لدغه ثعبان، وقال: موتى ... موتى؟!

تختخ: أقول ربما يا شاويش ... ربما!

الشاويش: وكيف عرفتَ أنهم موتى ... كيف عرفت؟ وكيف ماتوا؟

تختخ: قلت لك يا شاويش ربما ... وعليك أنت أن تتحقَّق ... فهذا عملك.

الشاويش: ولكن أحدًا لم يُبلغني بذلك.

تختخ: ها أنا ذا قد أبلغتك!

الشاويش: إنه مقلب من مقالبكم السخيفة ... فعندما رأيتني أنتَ وصديقتك فكرتما أن تجدا وسيلة لمضايقتي ... إنني لا أصدق هذا الكلام الفارغ الذي تقوله.

تختخ: لقد أبلغناك يا حضرة الشاويش وأنتَ حر!

ثم التفت إلى «لوزة» قائلًا: هيا بنا يا «لوزة».

وأخرج «تختخ» من جيبه نقودًا ليدفع حساب الطلبات ... ولكن الشاويش أصر على ألا يدفع له ... وانصرف «تختخ» و«لوزة» وقالت «لوزة»: للأسف إننا لم نستطع إقناعه.

تختخ: لقد أقنعناه.

لوزة: كيف ... إنه لم يقتنع مطلقًا.

تختخ: لن يمرَّ هذا اليوم إلا وسيَحضُر للحديث معنا عن الفيلا وأصحابها ... إنه مُمثلٌ للقانون ... ولا يمكن أن ينسى أو يتجاهل مسئوليته.

وقد تحقَّق ظن «تختخ» فعلًا ... فعندما اجتمع المغامرون الخمسة بعد ساعة في حديقة منزل «عاطف» ظهر الشاويش عند باب الحديقة ... وقام المغامرون جميعًا يرحبون به ... حتى لا يحسَّ بالحرج.

وقال الشاويش وهو واقف موجهًا حديثه إلى «تختخ»: هذه الفيلا التي ...

قال «تختخ» مقاطعًا: تفضل بالجلوس يا حضرة الشاويش ... وسنُحدِّثك عن كل شيء ... ونترك لك حرية اتخاذ القرار الذي يناسبك كممثل للقانون والعدالة.

أمسك الشاويش بشاربه يبرمه عندما سمع كلمات «تختخ» المشجعة ثم جلس واضعًا ساقًا على ساق ... وبسرعة قامت «لوزة» بإحضار كوب الشاي الثقيل وهو مشروب الشاويش المفضل، ثم جلست قريبة منه ... ونظر «تختخ» إلى «لوزة» ثم قال: إن «لوزة» العزيزة يا شاويش — وأنت تعرف كم هي ذكية — تعرف كل شيء عن موضوع الفيلا وسكانها، وأعتقد أنه من الأفضل أن تتحدث هي.

وبدأت «لوزة» على الفور تروي للشاويش الأحداث التي مرَّت بها ... منذ لحظة اكتشاف وجود الكلب «الكوكر» الأصفر ... وإصاباته ... وعلاجه بواسطة الدكتور «فريد»، ثم تتبُّعها لـ «زنجر» حتى الفيلا المهجورة التي لا يريد الكلب الأصفر مغادرتها ... والشاويش مستمر في العبث بشاربه ... ورشف الشاي ... والإنصات ... وعيون المغامرين معلقة به في انتظار قراره ... حتى إذا انتهت «لوزة» من روايتها ساد الصمت ولم يعد يبدده إلا صوت رشفات الشاي الطويلة الممدودة من فم الشاويش.

وأخيرًا قال الشاويش: وماذا تريدون منِّي؟

تختخ: نريد أن نفتح الفيلا.

الشاويش: إن ذلك يستدعي إجراءات مطوَّلة وإذنًا من النيابة.

تختخ: إننا نَعتمِد عليك يا شاويش!

ودون انتظار قام الشاويش بعد أن أنهى كوب الشاي، وقال كلمة واحدة: سأرى!

ثم انصرف وترك المغامرين الخمسة يتبادلون النظرات ... وقال «عاطف»: لو أننا أقنعنا الشاويش بفتح الفيلا ... فذلك يُشبه إقناع أسد حديقة الحيوان أن يترك راحته ويعمل في السيرك القومي.

محب: إن أي أسد لا بُدَّ أن يُرحِّب بالعمل بدلًا من أن يكون مجرد فرجة للناس.

نوسة: أفهم الآن ماذا سنفعل ... هل ننتظر الشاويش؟

تختخ: من ناحية دخول الفيلا لا بُدَّ من الانتظار ... ولكن هذا لا يَمنع من أن نحمل كمية من الطعام ونذهب لزيارة الكلب الأصفر ... ونُعيد فحص حديقة الفيلا لعلنا نجد فيها شيئًا يستحق البحث عنه، وليكن هذا في المساء.

وقام «عاطف» و«لوزة» فأعدا أكلة شهية للكلب وفي المساء ركب الجميع دراجاتهم وانطلقوا إلى الفيلا المهجورة ... وسرعان ما كانوا يدخلون من باب حديقتها المفتوح ... ووجدوا «زنجر» مع صديقه «الكوكر» فوضعوا أمامهما الأكلة الشهية ثم انتشروا في الحديقة وقد قسموا أنفسهم إلى ثلاثة أقسام ... وقاموا بفحص كل شبر فيها، وكادوا ينتهون من عملهم عندما ظهر الشاويش على دراجته ... ولم يكد يراهم حتى صاح فيهم: ماذا تفعلون هنا ... لا بُدَّ أنكم تتبعونَني!

عاطف: كيف نتبعك يا شاويش وقد جئتَ بعدنا؟! لا بُدَّ أننا نتبعك بالمقلوب أو أنك أنت الذي تبعتَنا.

الشاويش: اخرجوا جميعًا ... إنني مُمثِّل القانون، وقد حصلتُ على إذن النيابة بالتفتيش، وسأقوم به وحدي.

وقف المغامرون الخمسة مذهولين ... ولكن «تختخ» كان أولهم إلى الحديث فقال: إنك يا شاويش ممثِّل القانون طبعًا ... ولكن هل هناك مانع أن يقوم الناس بمساعدة مُمثلي القانون؟! إن نداءات وزارة الداخلية تطلب من المواطنين أن يساعدوا رجال الشرطة في أداء واجبهم ... ونحن نَعرِض عليك مساعدتنا ...

الشاويش: إنني لا أريد مساعدة من أحد.

وتقدم الشاويش من باب الفيلا ... ووقف محاولًا فتحه ببعض الأدوات التي أحضرَها معه ... ولكنه لم يستطع ... وأخذ يدقُّ هنا وهناك دون جدوى ... ثم تراجع إلى الخلف وضرب الباب بكتفه ... ولكن الباب لم يهتزَّ وصمد دون أن يفتح.

أخذ العَرَق ينسال على وجه الشاويش كلما حاول وفشل ... ثم ارتفع صوته ساخطًا لاعنًا ... فقال «تختخ»: هل تَسمح لنا يا شاويش!

وتقدم «تختخ» من الباب وأخذ يدق على القفل بأصابعه ... ثم ذهب إلى دراجته وأخرج من الشنطة الصغيرة بعض الأدوات وعاد ... ثم أخذ يعالج القفل في هدوء ... وبعد لحظات أدار أداة دقيقة في القفل ... وسمع الجميع تكة خفيفة ... ثم دفع «تختخ» الباب فانفتح ... ووقف الشاويش مذهولًا ينظر إلى الباب المفتوح ... وفي هذه اللحظة اندفع الكلب «الكوكر» الأصفر داخلًا وهو ينبح نباحًا حزينًا ... واجتاز باب الفيلا كالصاروخ.

# أكثر من دليل ولكن ...

دخل الشاويش مترددًا. وتبعه «تختخ» بعد أن أشار إلى «نوسة» و«لوزة» أن تبقيا بعيدتَين ... ثم تبعه «محب» و«عاطف» ... كانت الفيلا من الداخل مظلمة ... تفوح منها رائحة الرطوبة ... وروائح أخرى كريهة ... وأحس «تختخ» بشيء من الخوف وهو يجتاز عتبة الباب ... هل فعلًا يوجد موتى داخل الفيلا؟ ...

كان الشاويش يقف في الصالة ... وخلفه «تختخ» الذي قال: إنني أسمع صوت أزيز خفيف صادر من المطبخ.

محب: إنها الثلاجة!

تختخ: هذا يعني أن الكهرباء سارية في الأسلاك ... أَضِئ النور يا «محب».

مدَّ «محب» يده فأضاء النور ... ووقعت أبصار الجميع على صالة واسعة قد دبت فيها الفوضى ... فالكراسي مقلوبة ... وبعضها ممزَّق ... والكتب ملقاة على الأرض وبعض الصور التي على الحائط قد نزعت من مكانها ... وبعض الزهريات الجميلة قد سقطت وتكسرت وتناثرت منها ورود ذابلة ...

كان واضحًا أن صراعًا شديدًا قد دار في هذه الصالة ... وأن ثمة تفتيشًا دقيقًا قد تم فيها ...

وقال الشاويش: هل تدخلون معي بقية الغرف؟

تختخ: بالطبع يا شاويش ... إنَّ بعضها مفتوح الأبواب ...

ودخل الشاويش وتبعه «تختخ» بينما كان الكلب «الكوكر» يجري هنا وهناك صارخًا نابحًا ... وكانت هناك غرفة نوم واحدة ... كانت في حالة من الفوضى مُماثلة لحالة الصالة ... فالمراتب ملقاة على الأرض، وقد تناثر قطنها ... وزجاجات الروائح والملابس قد أُلقيت هنا وهناك ...

قال «تختخ» معلقًا: إن الفيلا كلها قد تعرضت لتفتيش دقيق، ومن الواضح أن ثمة شيئًا كان يبحث عنه مَن دخلوا الفيلا.

الشاويش: ولكن لا أثر لأحد هنا.

تختخ: واضح من الملابس أنه كان يسكن هنا شخص واحد ... رجل، فليس هنا أية ملابس نسائية.

الشاويش: إنَّ هذا لا يقودنا إلى شيء.

تختخ: ربما بعد أن نفحص بقية الفيلا قد نعثر على ما يضيء طريقنا.

وعادا إلى الصالة ... كان «محب» و«عاطف» قد دخلا المطبخ، وقال «محب»: الثلاجة ما زالت تعمل ... بها دجاجة واحدة ... وبعض المعلبات وقطع الجبن والخس والطماطم ... وهناك طعام فاسد على مائدة صغيرة ... هو في الأغلب عشاء لم يُتمَّه صاحبه.

نظر «تختخ» حوله ثم قال لـ «عاطف»: دعْ «نوسة» و«لوزة» تدخلان ... ثم أضاف: هناك غرفة لم ندخلها بعد في نهاية هذا الدهليز.

واتجه الجميع إلى الغرفة التي أشار إليها «تختخ»، وكان بابها مواربًا ... وفتح الشاويش الغرفة ثم أضاء نورها ... ووقَع بصرهم جميعًا على غرفة مستطيلة الشكل ... تُشبه مَعملًا من معامل الكيمياء ... تناثرت فيها بعض قِطَع الأحجار المتآكلة ... والتماثيل الناقصة ... وميزان حساس ... وبعض الأنابيب وزجاجات المحاليل ... وعلى الحائط عُلِّقَت خرائط للبحر المتوسط ووضعت بعض علامات حمراء على أماكن منه ... وبجوارها كانت مكتبة قد تناثرت كتبها على الأرض ... وعينات من الأسماك المتوحِّشة المختلفة.

قال «محب»: إنه معمل كيميائي!

تختخ: نعم ... لعالم من علماء البحار ... فأكثر العينات هنا لرجل يعمل في أبحاث البحار!

وقال «عاطف»: إن هناك دولابًا في الحائط.

ومد يده ففتح الدولاب، ووجدوا بعض ملابس الغوص، وثلاث بنادق للصيد تحت المياه ... وبعض الديناميت المستخدم في النسف ...

الشاويش: شيء غير مفهوم ... لقد أوقعت نفسي في مشكلة عويصة.

لم يردَّ أحد ... فقد انتشر الأصدقاء في أنحاء الفيلا يفحصون وينقبون ... كانت هناك عشرات الأشياء يمكن أن تكون أدلة ... وقد وقعت «نوسة» على أهم الأدلة التي يمكن التعرف منها على شخصية الرجل المجهول الذي كان يسكن هذه الفيلا ...

وبعد أكثر من ساعتين … قرَّر الشاويش أن يكتب محضرًا بكل ما شاهده، وقد ساعده الأصدقاء في تسجيل تفاصيل المحضر … وعندما خرجوا أصروا على أخذ «الكوكر» الأصفر معهم … وقد استسلم الكلب الحزين لهم بعد أن أدرك أن صاحبه ليس موجودًا داخل الفيلا …

وفي الثامنة والنصف كان الأصدقاء جميعًا يجلسون في الكشك الصيفي الكبير في حديقة منزل «عاطف»، وأخرجت «نوسة» دفترًا صغيرًا أسود اللون، كان من الواضح أنه دفتر مذكرات … وقد استأذنت الشاويش أن تحتفظ به هذه الليلة فقط … وكتابًا كبيرًا عن الحضارات الغارقة في العالم.

وكان دفتر المذكرات ممزقًا في أكثر من موضع … ومكتوبًا باللغة الإيطالية، وقد تولى «محب» وهو يجيد الفرنسية؛ الاطلاع عليه … وبرغم غرابة الخط وأن أكثر المعلومات كانت مكتوبة في شكل كلمات أو أرقام أو رموز، فقد استطاع «محب» بعد فترة من الوقت أن يُكوِّن فكرة معقولة عما جاء في مذكرات الرجل المجهول … لقرب اللغة الفرنسية من اللغة الإيطالية.

قال «محب»: إن الاسم المكتوب على جلدة المذكرة هو «ف. بورتللي» وهو بالطبع إيطالي … والمذكرات تشمل قسمين … قسمًا في العام الماضي، وقسمًا هذا العام … وفي القسمين يسجل «بورتللي» مواعيد وصوله إلى مصر … ثم الإسكندرية … ويسجل أوصاف بعض أشياء عثر عليها تحت الماء، وبينها فيما يُظن تمثال لأحد آلهة الرومان … وهناك تاريخ يعود إلى عام ١٩٦٣م لا أدري ما هو … وكلمة «العينين الجميلتين» ثم كلمة كيف …

وصمت «محب» قليلًا ثم قال: بعد ذلك هناك عدد من أسماء لأشخاص … وعلامة «X» و«ب» أمام بعضها.

قال «تختخ»: من الواضح أن هذا الرجل «بورتللي» يعمل في البحث عن الآثار تحت الماء، وأن له مع مجموعة من زملائه نشاطًا في الإسكندرية … والسؤال الآن هل هو نشاط مشروع أو غير مشروع؟

لوزة: ماذا تقصد يا «تختخ» بهذا الكلام؟

تختخ: أقصد هل يقوم «بورتللي» بعمله هذا في حدود القانون … أو خارج القانون؟

عاطف: أكاد أجزم أنه خارج القانون.

تختخ: ومن أين أتيت بهذا الجزم يا «عاطف»؟

عاطف: إن مَن يرى الفيلا من الداخل والصراع الذي دار فيها يؤكد أن ثمة شيئًا غير عادي في هذا الموضوع كله.

تختخ: قد يكون «بورتللي» يقوم بنشاط في حدود القانون، ولكن عصابة ما أرادت استخدامه في عمل غير مشروع … أو حاولوا سرقته!

عاطف: وهذا جائز أيضًا.

كانت «نوسة» منهمكة في قراءة كتاب «حضارات غارقة»، فقالت: إن المؤلف وهو الدكتور «سليم أنطون» يؤكد أن هناك ألغازًا ما زالت بلا حل عن قصة المدن التي غرقت تحت البحر، وأن هذه الألغاز تجذب انتباه العلماء والمغامرين، وفي أحد فصول الكتاب يتحدث عن اكتشافات تمت عام ١٩٦٣م في الميناء الشرقي لمدينة الإسكندرية.

قال «محب»: إن هذا يفسر ما جاء في مذكرات «بورتللي» عن تاريخ يعود إلى عام ١٩٦٣م … إذن فإننا نقترب من حقيقة مؤكَّدة، هي أن «بورتللي» — سواء أكان عالمًا يعمل في حدود القانون، أم مغامرًا يعمل خارج القانون — مهتم بآثار الميناء الشرقي …

نوسة: هذا صحيح … فهو يضع خطوطًا حمراء، وترجمة إيطالية بخط دقيق على هوامش الصفحات التي تتحدث عن هذه الاكتشافات.

لوزة: ألم أقل لكم إن «الكوكر» الأصفر وراءه شيء هام؟!

عاطف: شيء هام فعلًا … ولكن الأهم ماذا سنفعل؟

وصمت الجميع مُفكِّرين ثم قال «تختخ»: أقترح أن نسأل المفتش «سامي» عن هذا الشخص المدعو «بورتللي» … بالطبع أن اسمه مسجل في وزارة الداخلية باعتباره من الأجانب؛ وذلك حسب القانون.

واتصل «تختخ» بالمفتش «سامي» في منزله … وروى له باختصار كل الأحداث التي مروا بها … واستمع المفتش بانتباه … ثم قال: وما هي طلباتكم؟

تختخ: نريد أن نعرف إذا كان عندكم أية معلومات عن شخص يُدعى «ف. بورتللي»، نظن أنه إيطالي يعمل في علوم البحار!

المفتش: من المؤكد أن عندنا معلومات عن حركته ما دام من الأجانب … ولكن المعلومات لن تتوفر إلا غدًا.

تختخ: ذلك شيء مناسب جدًّا.

المفتش: وعندما أتلقى تقرير الشاويش عن تفتيش الفيلا سأرى أيضًا ما يمكن عمله.

تختخ: إننا نشكرك غاية الشكر يا سيادة المفتش … إنك تهتم بنا كثيرًا.

المفتش: بل إنني الذي أشكركم … فطالما ساعدتم رجال الشرطة في الكشف عن الحقائق وتحقيق العدالة.

ووضع «تختخ» السماعة ثم قال: سنلتقي غدًا صباحًا في التاسعة بالضبط في نفس هذا المكان … وستكون عندنا معلومات كافية عن «بورتللي» ربما تقودُنا إلى حل لغز اختفائه المريب.

# قد تكون بداية ...

في اليوم التالي اتصل المفتش «سامي» بالمغامرين، وكانت المعلومات التي توصل إليها قليلة ... فلم تكن تزيد عن أن «بورتللي» عالم إيطالي من علماء الآثار، مهتمٌّ بالآثار الغارقة تحت البحر ... وأنه تردد على مصر خلال السنوات العشر الأخيرة بضع مرات، وليس في سلوكه ما يريب.

كانت هذه المعلومات تكفي لكي يقرر المغامرون الكف عن البحث وراء «بورتللي»، لولا آثار الضرب التي أصابت الكلب الأصفر ... فلو أن «بورتللي» في حالة عادية لما ترك كلبه ضالًّا ... ولما تركه وهو مصاب بهذه الإصابات البالغة. إن وراء رحيل «بورتللي» وترك «الكوكر» الأصفر مصابًا، سرًّا يجب كشف غوامضه!

وكان قرار المغامرين مغامرة في حد ذاته ... لقد قرروا الرحيل وراء «بورتللي» إلى الإسكندرية.

قال «تختخ»: هناك احتمالان لا ثالث لهما ... إما أن «بورتللي» غادر مصر كلها، وفي هذه الحالة يكون قد رحل ومعه سرُّه، وإما أنه ما زال في «مصر» ... فإذا كان فيها فلا بُدَّ أنه في الإسكندرية.

نوسة: هذا صحيح ... فإن العلامات التي تركها «بورتللي» على الخرائط المعلَّقة في معمله، والخطوط التي وضعها على بعض صفحات الكتاب تُؤكِّد أنه مُهتمٌّ بالآثار الغارقة في الميناء الشرقي للإسكندرية ... وهي آثار على جانب كبير من الأهمية، كما يؤكد كتاب «حضارات غارقة».

عاطف: هل نسافر جميعًا؟

تختخ: على كلٍّ منَّا أن يقنع أسرته بأننا انتهينا من الامتحان ... وأن من حقنا أن نرتاح وقد اخترنا أن نقضي فترة الراحة في الإسكندرية.

عاطف: من حسن الحظ أنني و«لوزة» لسنا في حاجة إلى تقديم أية حجج لذلك ... فإن والدتنا سبقتنا إلى الإسكندرية للإشراف على تنظيف شقتنا التي هناك ... ومن المفروض أن نلحق بها خلال أيام ... ووالدي لن يستطيع السفر الآن لانشغاله ببعض الأعمال، وأظنه لن يعترض على سفرنا.

نوسة: وفي هذه الحالة ... متى نسافر؟

تختخ: فليكن هذا غدًا صباحًا!

نوسة: وهل هناك خطة معينة؟

تختخ: لا شيء أكثر من الطواف بالميناء الشرقي ... لعلنا نجد شيئًا يقودنا إلى مكان «بورتللي» إذا كان حقًّا في الإسكندرية.

محب: إنني أقترح الاتصال بالسائق «وجيه» ... إنه من المفيد لنا أن يأخذنا في سيارته فقد نحتاج إليه.

تختخ: سأتصل به تليفونيًّا في «الجراج» وسأعطيه موعدًا بعد أن تتصلوا بي مساءً لتحديد موعد سفرنا.

وانفضَّ الاجتماع ... وفي المساء تم الاتصال بين المغامرين الخمسة ... واتفقوا جميعًا على أن السفر سيكون في الثامنة صباحًا ... واتصل «تختخ» بالسائق «وجيه» ولحسن الحظ وجده ... وفي الثامنة تمامًا كانت سيارته «البيجو» الجديدة تحمل المغامرين الخمسة ومعهم الكلب «زنجر» و«الكوكر» الأصفر ... وكان الاتفاق أن ينزلوا جميعًا في شقة «عاطف» بالإسكندرية لحين وصول بقية الأسر إلى الإسكندرية.

وانطلقت «البيجو» وبها الأصدقاء والكلبان تشقُّ طريقها مسرعة في الطريق الزراعي إلى الإسكندرية ... وقد روى الأصدقاء للسائق «وجيه» المغامرة التي يسافرون من أجلها فقال لهم: إن المقهى التجاري قرب الميناء الشرقي هو المكان المفضل للأجانب في الإسكندرية ... وفي إمكانكم أن تبحثوا عن «بورتللي» هناك.

وبعد نحو ساعتين ونصف ... بدأت رائحة البحر تملأ الجو ... وأحس المغامرون بالانتعاش ... وسرعان ما كانوا يصعدون سلالم شقة أسرة «عاطف» في «ستانلي» حيث استقبلتهم والدة «عاطف» مرحبة ... ولم يكد المغامرون يضعون حقائبهم حتى استأذنوا والدة «عاطف» ونزلوا مسرعين ... وحملهم تاكسي إلى المقهى التجاري.

كانت خطة «تختخ» تعتمد على أن يتعرَّف «الكوكر» الأصفر على صاحبه ... ولهذا كان يتركه يجري هنا وهناك ... لعله يعثر عليه ... ولكن الخطة فشلت فشلًا ذريعًا، فلم يعثر «الكوكر» على أحد ... ومر اليوم وهم يسيرون هنا وهناك دون أن يحدث أي شيء.

وعندما عادوا في المساء قالت «نوسة»: إننا نبحث عن سمكة صغيرة في المحيط ... وأعتقد أننا يجب أن نفكر مرة أخرى.

كانوا جميعًا يجلسون في الشرفة الواسعة المطلَّة على البحر ... وقد امتد أمامهم ميناء «الإسكندرية» الواسع ... وعادت «نوسة» تقول: إنني أقترح الاتصال بالصحفي «سامي دسوقي»، لقد ذُكر في الكتاب أنه كَتبَ كثيرًا عن الآثار الغارقة في الميناء الشرقي ... لعلنا نستطيع أن نحصل منه على معلومات أكثر، بل ربما يعرف هو شخصيًّا العالم الإيطالي «بورتللي»، وهو كما ذكر في الكتاب يعمل في جريدة الأهرام.

وفكَّر «تختخ» قليلًا ثم قال: لا بأس ... فلنُحاول.

وأحضروا نسخة من جريدة الأهرام لمعرفة رقم التليفون واتصلوا بالصحفي ... وسرعان ما ردَّ عليهم فشرحوا له ما يريدون مقابلته من أجله ... ورحب بهم ... وعرض عليهم أن يحضروا في مكتبه.

ونزل «تختخ» و«محب» ... لم يكن المكتب بعيدًا ... فسارا حتى وصلا إليه ... وكان الصحفي في انتظارهم.

قال «تختخ» لقد جئنا للبحث عن شخص يدعى «بورتللي» يعمل في البحث عن الآثار الغارقة.

الصحفي: إنني لا أذكر اسم «بورتللي» بين الأسماء التي اشتركت في البحث عن الآثار في الميناء الشرقي ... والذين أخرجوا هذه الآثار هم رجال الضفادع البشرية ... ومنها تمثال لـ «إيزيس» من الجرانيت الأحمر ... وزنه ٢٥ طنًّا وطوله حوالي سبعة أمتار ... ويمثل سيدة واقفة تمد ساقها إلى الأمام ... وتجويف العينين خالٍ ... ولا بُدَّ أنهما كانا مرصعين بحجرين من اللون المناسب كما كان شائعًا في الفن المصري القديم ...

محب: هل يعني هذا أنه من الآثار المصرية؟

الصحفي: لا ... فإنَّ السيدة التي صُنع لها التمثال كانت تلبس ثوبًا يونانيًّا ... ولهذا يرجح أن التمثال مصري يوناني ... لأن التمثال للإلهة «إيزيس» ... فهو من الفن المصري، في العهد اليوناني الروماني.

تختخ: وهل كان انتشال التمثال سهلًا؟

الصحفي: على العكس ... فإن التمثال كان يرقد في قاع البحر على عمق ثمانية أمتار والمياه في هذه المنطقة معتمة ... وقد بذَلَ رجال الضفادع البشرية جهدًا خارقًا!

تختخ: وهل هذه كل الآثار التي عُثر عليها؟

الصحفي: لا ... فقد روى لي أحد الضباط الشبان أنه شاهد تحت الماء حول لسان السلسلة خارج الميناء الشرقي أربعة توابيت حجرية كبيرة مغطَّاة، شاهد مثلها في المتحف الروماني بالإسكندرية ... وعلى القرب منها سلَّمٌ من ٧ درجات عرضه ٤ أمتار. وقد يعني هذا أن جزءًا من الإسكندرية القديمة قد غرق تحت المياه في فترات بعيدة من التاريخ.

تختخ: إننا نشكرك كثيرًا ... ونتمنى أن تساعدنا في البحث ... و ...

ولكن قبل أن يتم «تختخ» جملته قال الصحفي: آسف جدًّا ... إنني مسافر في رحلة إلى «لندن» ... ولكن في إمكاني أن أُعطيَكم بعض ملابس الغوص ... فأنا نفسي أحب الغوص ... وقد اشتركت في تصوير أفلام تحت الماء ... وأنصحكم أن تذهبوا إلى الميناء لعلكم تعثرون على شيء هناك يدلكم على ما تبحثون عنه ...

وشكره «تختخ» و«محب» ونزلا معه في سيارته حيث ذهب إلى منزله وأعطاهما الثياب ... ثم أوصلهما إلى منزل أسرة «عاطف» في الإسكندرية.

وفي صباح اليوم التالي ... استأجر المغامرون قاربًا، واتجهوا إلى الميناء الشرقي ومعهم الكلب «الكوكر» ... وقام «محب» و«تختخ» بأول جولة للغوص تحت الماء ... ولكن هذه الخطة فشلت أيضًا ... فقد كانت الآثار على عمق بعيد ... ولم يتمكنا من عمل شيء، وعندما خرجا من المياه قال «محب»: أعتقد أننا فعلنا ما يمكننا ... ولم يبقَ لنا إلى أن نقضي إجازة هادئة في الإسكندرية وننسى حكاية «بورتللي» هذه.

قالت «لوزة» جزعة: كيف نتراجع بعد كل ما فعلنا؟

محب: وماذا نفعل أكثر؟

رد «عاطف» من مقدمة القارب حيث كان يجلس وهو يحمل نظارة مكبرة: إنني أستطيع الرد على هذا السؤال.

ثم ناول النظارة إلى «تختخ» قائلًا: انظر في هذا الاتجاه.

ونظر «تختخ» من خلال النظارة المكبِّرة ... كانت هناك سفينة تقف في طرف الميناء الشرقي عند السلسلة، ولكن لم تكن عليها حركة ...

قال «تختخ»: إنها مجرد سفينة ... ولكن لا أحد عليها.

عاطف: هذا ما يبدو لأول نظرة ... ولكنني لاحظت وجود أشخاص يظهرون ويختفون سريعًا، واسم السفينة «فلورنسا» ... وهذا يعني أنها إيطالية.

تختخ: وماذا يعني كل هذا؟

عاطف: أعني أن شيئًا غامضًا يجري على هذه السفينة الإيطالية قد يكون له علاقة بالآثار الغارقة ... وبهذا الرجل صاحب «الكوكر» الأصفر ... «بورتللي».

# معارك تحت الماء

لوزة: لماذا لا نقترب من هذه السفينة ونرى ما يحدث فيها.

تختخ: إذا كان استنتاج «عاطف» صحيحًا، فربما يكون من الخطر الاقتراب، فإذا أحس بنا مَن في السفينة ... ربما أخذوا حذرهم ... وإنني أعتقد أن من الأفضل أن نبقى هنا ونراقب.

وأخذوا يتبادلون النظر خلال النظارة المكبِّرة ... ولكن الوقت مضى دون أن يشاهدوا شيئًا ذا قيمة ... إلا بعض الأشخاص يتحركون بين فترة وأخرى على سطح السفينة ثم يختفون.

وجاء موعد الغداء، ومر ... وشعر الأصدقاء بالجوع ... وقرَّروا العودة إلى الشاطئ، وسرعان ما كان القارب يعود إلى مرساه ... وعادوا إلى البيت ... ومضى الوقت حتى المساء دون أن يستقروا على رأي فيما يفعلون.

وهبط الظلام ... وفجأة قال «تختخ»: هيا يا «محب».

محب: إلى أين؟

تختخ: سنَذهب إلى السفينة الإيطالية في الميناء وسنقترب منها قدر الإمكان ... وربما كان الظلام عنصرًا مساعدًا في هذه الخطة.

نوسة: ألا تُعرِّضان نفسيكما لمخاطرة يا «تختخ»؟

تختخ: سنذهب في ملابس الغوص السوداء ... وأعتقد أن أحدًا لن يرانا ... على كل حال قد لا نجد شيئًا مريبًا.

وخرج «تختخ» و«محب» فذهبا إلى القارب ومعهما الكلب «الكوكر» وسرعان ما كانا يقتربان من السفينة الراسية ... وعندما أصبحا منها على بعد أمتار وجدا لدهشتهما الشديدة ... الكلب الأصفر يَقفز هنا وهناك ... وأخذ «محب» يهدئه حتى لا ينبح ويكشف

وجودهما، وقال «تختخ»: أعتقد أننا نسير في الطريق الصحيح ... فمن الواضح أن الكلب يحسُّ أنه قريب من صاحبه.

محب: أو قريب من الذين اعتدوا عليه.

تختخ: وهذا مُمكن أيضًا.

كانت السفينة غارقة في الظلام ... وليس بها إلا بصيص ضئيل من الضوء يصدر من إحدى الكبائن ... وأوقف «تختخ» القارب خلف السلسلة حتى لا يراه مَنْ في السفينة ... وانتظر المغامران نحو ساعة دون أن يشاهدا أي حركة على السفينة، فقال «محب»: هيا نذهب إليها، وسنترك الكلب في القارب.

ونزلا في الماء، وأخذا يسبحان في هدوء حتى اقتربا منها ... وتسلقا الحبل الذي يربط السفينة بالهِلب الثقيل الغائص في الماء ... وسرعان ما كانا يرقدان على ظهر السفينة.

انتظرا لحظات ... ثم زحفا إلى ناحية الضوء ... وفجأة فُتح باب في مقصورة السفينة الراسية ... وشاهد المغامران عدة رجال مُنهمِكين في لبس ملابس الغوص ... وأدركا أنهما في الطريق الصحيح ... فكل شيء يتم في الظلام ... وفي سرية تامة ... ولا بُدَّ أنه عمل غير مشروع ... وإلا تم في ضوء النهار.

وأغلق الباب، وهمس «محب» في أذن «تختخ»: يجب أن نختبئ ... فسوف يصعدون بعد قليل.

واختفيا خلف كومة من الحبال ... وبعد لحظات ظهر الرجال في ملابس الغوص ... وبدأوا ينزلون واحدًا واحدًا ... كانوا خمسة ... نزل ثلاثة وبقي اثنان ... وأحس «تختخ» و«محب» برعدة تسري فيهما عندما أقبل الرجلان الباقيان، وجلسا فوق كومة الحبال ... ولو أن واحدًا منهما التفت خلفه ... لشاهد الولدين في مكانيهما ... ولكن رغم هذا الموقف الحرج ... فقد كان ذلك في صالحهما ... لقد سمعا الرجلين يتحدثان ... وقد كان حديثهما أول ضوء يكشف حقيقة الأحداث التي تدور على ظهر السفينة.

قال أحدهما: أعتقد أن هذه هي فرصة «بورتللي» الأخيرة فإذا لم يُحضِر العينين ... فلا بُدَّ أنه يضحك علينا طول الوقت ويحاول أن يكسب وقتًا حتى يجد وسيلة للفرار.

رد «الثاني»: لنترك الزعيم يتصرف.

الأول: ولكن الموقف أصبح خطيرًا ... لقد أخذنا إذنًا من السلطات المصرية بالبحث لمدة خمسة عشر يومًا ... وقد مر الوقت ولم يبقَ سوى يومين فقط وبعدها نغادر المكان.

الثاني: معك حق ... لقد أخطرنا السلطات أننا أوقفنا البحث لعدم توفيقنا في العثور على شيء ذي قيمة ... وتم تفتيش السفينة أمس ... ولا بُدَّ أن نُوقف العمل ونرحل ... وإلا تعرضنا للمتاعب.

الأول: سأقول للزعيم رأيي ... وأطلب منه التخلص من «بورتللي» نهائيًّا هذه المرة ... لقد عثرنا عليه بصعوبة في القاهرة ... وأحضرناه بالقوة.

الثاني: قد يعثر «بورتللي» على العينين هذه المرة، يقول إنه أخفاهما في كيس من المطاط المقوَّى، ووضعهما تحت إحدى درجات السلم تحت الماء ... وإن المياه معتمة فهو لا يستطيع التعرف على المكان.

الأول: إنه يكذب ... فمعه بطاريات قوية تُحيل الليل نهارًا.

الثاني: لننتظر ونرَ.

كان «محب» و«عاطف» يستمعان في انتباهٍ شديد ... لقد فهما كل شيء تقريبًا، فهذه عصابة تعمل في النهار بشكل قانوني وتحت إشراف السلطات المصرية ... وفي الليل تحاول سرقة الآثار ... ومن الواضح أن «بورتللي» قد عثر على شيء هام ... وهو في الأغلب عينا التمثال الكبير الذي تحدث عنه الصحفي «سامي دسوقي» ... وقد أراد «بورتللي» أن يحتفظ بالعينين لنفسه ... وبدلًا من أن يصعد بهما إلى السفينة أخفاهما تحت الماء ثم هرب إلى المعادي ... ولكن العصابة طاردته حتى عثرت عليه ... وأعادته لإحضار العينين من حيث أخفاهما تحت الماء ... ولكن «بورتللي» ... إما أنه لم يعثر على العينين فعلًا ... وإما أنه يراوغ من أجل كسب الوقت حتى يتمكَّن من الهرب مرة أخرى.

ووقف الرجلان ... وكادا يتحركان مبتعدين ... لولا أن حدث شيء لم يكن في الحسبان ... لقد عطس «محب» ... فعندما خرج من الماء وتعرض للهواء فترة طويلة أحس بأنه سيعطس ... وقد ظل يحبس عطسته طول الوقت ولكن في النهاية خرجت دون أن يتمكن من إيقافها.

كانت لحظة رهيبة ... فقد توقَّف الرجلان فورًا ثم نظرا إلى حيث كان «تختخ» و«محب» مستلقيَين خلف كومة الحبال ... وانقضَّ الرجلان عليهما ... وقفز «تختخ» واقفًا، وبعده «محب» وكانت ملابس الغوص الثقيلة تعوقهما عن الدخول في معركة ولم يكن أمامهما إلا حلًّا واحدًا ... القفز إلى الماء!

قفز «محب» وتبعه «تختخ» ... وفي الوقت نفسه كان أحد الرجال الثلاثة الذين غاصوا قد صعد إلى سطح الماء ... وشاهدهما وهما يقفزان ... وسمع صوت زميليه وهما يَصيحان محذِّرَين.

كان بيد الغواص بندقية من بنادق الصيد تحت الماء ... فأطلق منها سهمًا ... اندفع كالصاروخ ناحية «محب» ولكن لحسن الحظ غاص «محب» في الماء قبل أن يُصيبَه السهم ...

غاص «محب» عميقًا ... وتبعه «تختخ» ... وسرعان ما التقيا تحت الماء وأشار «تختخ» لـ «محب» أن يبتعدا سريعًا في اتجاه الشاطئ ... ولكن الرجلين الباقيَين في الماء كانا قد وصلا إلى سطح السفينة ... وعرفا ما حدث ... وسرعان ما اشترك الرجال الثلاثة في مطاردة «محب» و«تختخ» ...

كان للرجال الثلاثة ميزة مهمة ... فقد كان كلٌّ منهم يَحمل جهازًا للتنفس الصناعي بينما كان «محب» و«تختخ» لا يحملان هذا الجهاز ... وكان عليهما بين فترة وأخرى أن يصعدا لاستنشاق الهواء ... ولكن كان لهما ميزة مهمة، هي أنهما كانا بدون جهاز التنفس أسرع في الحركة.

وأخذ الرجال الثلاثة يطلقون بنادق الصيد ذات الحراب الحادة على المغامرين ... وفي كل مرة كانت الحربة تمرُق بجوارهما دون أن تصيبهما ... ولكن هذا الحظ الحسن لم يكن يستمر طويلًا ... وسرعان ما قاد «تختخ» «محب» إلى مجموعة من الصخور الضخمة تحت الماء ... وبقيا بجوارها لحظات ... وقد نجحا فعلًا في تضليل المطاردين ... ولكنَّ خطرًا آخر كان في انتظارهما ... فمن جوف الظلام الساكن تحت الماء ... تحركت سمكة ضخمة من أسماك القرش ... وأحس المغامران أن الحظ قد تخلى عنهما ... فقد أصبحا بين نارين ... المطاردين الثلاثة من ناحية ... وسمكة القرش الضخمة من ناحية أخرى ... ولم يكن هناك سوى قرار واحد ... الصعود إلى سطح الماء.

وتحرك الولدان في نفس الوقت ... وأخذا يصعدان بسرعة، وخلفهما جاءت سمكة القرش كالصاعقة. وفي هذه اللحظة ظهر رجلان من الرجال الثلاثة ... وشاهد «محب» — على ضوء الكشافات التي يحملونها — واحدًا منهم يصوب بندقيته نحو ... وتحرك «محب» حركة سريعة. جعلت سمكة القرش بينه وبين الرجل ... وشاهد السمكة تهتز بعنف ... وأدرك أن السهم الذي كاد يصيبه قد انغرس في جسدها.

صعد الولدان إلى السطح ... وأسرعا إلى مكان القارب ... وكم كانت دهشتهما عندما شاهدا القارب على أضواء الميناء يَبتعد وفيه شخص ... وعرفا على الفور أنه لا بد أن يكون «بورتللي» ... وأنه انتهز فرصة المطاردة وهرب من العصابة وصعد إلى سطح الماء وشاهد القارب ... وربما نبح الكلب ولفت أنظاره، فأسرع يهرب بالقارب.

كانا قريبَين من السلسلة، وهي حاجز ضخم من الأحجار يمتد من الشاطئ في أقصى شرق الميناء ... وأخذا يسبحان وقد نال منهما التعب ... وسرعان ما استطاعا الوصول إلى السلسلة ... وصعدا إليها وقد تقطعت أنفاسهما ... فارتميا على الأحجار ... وأخذا يتنفسان بشدة ... وقد أدركا أنهما في أمان بصفة مؤقتة ... ما لم يستمرَّ الرجلان في مطاردتهما على البر، وإن كان ذلك يعرضهما لخطر ظهورهما أمام حرس الميناء الذي لا بُدَّ أن يكون رجاله مُنتشرِين للحراسة على طول الميناء.

# من اليأس إلى الأمل

استلقى «محب» و«تختخ» مُجهدَين فوق صخور السلسلة ... وأخذت الريح تشتد شيئًا فشيئًا فيشعران بالبرد وهما متعبان ... وفي الوقت نفسه كانت ملابس الغوص المطاطية تجعل سيرهما شاقًّا إذا رغبا في المشي ... وهما ينظران إلى أنوار الإسكندرية البعيدة، ويحلمان بالدفء والطعام.

مضى نحو نصف ساعة ... وفجأة قال «محب» لـ «تختخ»: انظر يا «توفيق»!

تختخ: ماذا؟

محب: انظر إلى السفينة ... إنها تتحرك مغادرة الميناء!

ونظر «تختخ» إلى السفينة ... كانت قد أضاءت أنوارها، ثم انطلقت تستدير وهي تغادر الميناء ... وأحس «تختخ» بالأسى يفيض بقلبه ... لقد هربت العصابة كما هرب «بورتللي» ... ولم يخرجا من هذه المغامرة الطويلة المعقدة بشيء ... وحتى لو استطاعا السير إلى أقرب قسم للشرطة أو حرس السواحل ... فماذا سيقولان عن العصابة؟! لا شيء مطلقًا في أيديهما يمكن أن يكون دليلًا مقنعًا ...

ونظر المغامران أحدهما إلى الآخر ... كانا يشعران بنفس الإحساس ... إن كل شيء قد انتهى ... وأنهما أفسدا عمل المغامرين الخمسة بضعة أيام ... أفسداه بعطسة واحدة خرجت من «محب».

وبالطبع كان «محب» يشعر بالأسى أكثر ... فهو صاحب العطسة التي أنهت المغامرة كلها ... وبعد لحظات قال «تختخ»: هيا بنا.

محب: إلى أين؟

تختخ: إلى المنزل طبعًا ... كل ما يمكننا عمله الآن هو الاتصال بالمفتش «سامي» ونقول له على كل ما حدث ... إنه الوحيد الذي يصدقنا دون أدلة، وعليه هو أن يتصرف كما يشاء.

وقاما يسيران متثاقلين ... ولكنهما لم يسيرا أكثر من بضع دقائق حتى سمعا صوتًا صارمًا يقول: قف ... مَن أنت!

كان واضحًا أنه صوت جندي من جنود الحراسة ... فهذه هي جملتهم التقليدية ...

رد «تختخ»: إنني أدعى «توفيق خليل».

الصوت: تقدم رافعًا يديك!

وتقدم الاثنان وقد رفعا أيديهما إلى أعلى ... وفجأة سلط عليهما نور كشاف قوي ... وسمعا صوت خطوات ثقيلة تُقبِل عليهما ... وسمعا صوت بندقية تستعد للإطلاق ...

قال «الصوت»: ماذا تفعلان هنا؟

تختخ: كنا ... كنا في قارب في مهمة!

الصوت: في هذا الظلام ... هل معكما تصريح؟

تختخ: لا ... لم نكن نعرف بضرورة وجود تصريح.

الرجل: تقدما.

تقدم «تختخ» و«محب» من مصدر الصوت واستطاعا أن يشاهدا جنديين من جنود الحراسة ... أحدهما يطلق نور الكشاف، والثاني ممسك ببندقية وقال «تختخ»: اذهب بنا إلى أقرب نقطة للشرطة.

الجندي: سنذهب بكما إلى نقطة حرس السواحل ... تقدما!

وسار «محب» و«تختخ» يتعثران ... وقد أخذ ذهن «تختخ» يعمل سريعًا كيف يمكن التخلص من هذا المأزق ... بل كيف يُمكن الاستفادة منه؟!

وفجأة ظهر خلف الصخور كشك من أكشاك الحراسة مضاء بأنوار قوية ... وقادهما الجنديان إلى ضابط شاب كان يجلس على مكتب يكتب شيئًا في دفتر أمامه ... وقال الجندي: عثرنا على هذين الشخصين على السلسلة ... يا أفندم.

ورفع الضابط إليهما وجهه ... كان يبدو شديد الوسامة والذكاء فقال له «تختخ»: نحن طالبان من القاهرة ... جئنا مع بعض أصدقائنا للمشاركة مع رجال الشرطة في مطاردة عصابة لسرقة الآثار الغارقة.

قال «الضابط»: في أيِّ مكان من الإسكندرية تنزلان؟

وقال له «محب» على العنوان ورقم التليفون، فكتبهما أمامه ... ثم أخذ يستجوبهما استجوابًا دقيقًا عن كل ما فعلاه ... وسمعاه ... حتى استمع منهما إلى القصة كاملة ... ثم اتصل برقم تليفون منزل «عاطف» في الإسكندرية وتحدث مع والدة «عاطف» لحظات، ثم وضع السماعة وفكر قليلًا، واتصل مرة أخرى بشخص سمعاه يُحدِّثه فعرفا أنه رئيسه ... وروى الضابط الشاب القصة كاملة واستمع قليلًا ثم قال: تمام يا أفندم.

ووضع السماعة ثم قال: سيقوم زورق مسلح بمطاردة السفينة فورًا ... أرجو أن تكون معلوماتكما دقيقة.

تختخ: أؤكد لك أننا قلنا الحقيقة كاملة.

الضابط: وسأقوم معكما للبحث عن هذا المدعو «بورتللي» ... هيا بنا!

وخرجا معه ... وسارا قليلًا ثم وجدا موقفًا للسيارات به بعض سيارات شرطة السواحل المجهزة باللاسلكي ... وقفز الضابط إلى السيارة ... وركبا معًا ... وقال: سنذهب إلى المنزل أولًا لتُغيرا ملابسكما ...

ثم أعطى العنوان للسائق وانطلقت العربة ... وأحس «تختخ» و«محب» أنهما لا يكادان يُصدِّقان ما يحدث ... لقد أنقذهما وأنقذ المغامرة كلها ... القبض عليهما في الوقت المناسب.

ومرَّا بالشوارع المزدحمة ... وسرعان ما وقفت السيارة أمام منزل «عاطف» وصعد معهما أحد الجنود بسلاحه ... وعندما فتح لهما «عاطف» الباب انطلقت عشرات الأسئلة من المغامرين الثلاثة ... ومن والدة «عاطف» ... حتى «زنجر» أخذ ينبح متسائلًا.

قال «تختخ»: بسرعة ... لا وقت للأسئلة الآن ... فسوف ننطلق لمطاردة «بورتللي»!

وفي دقائق قليلة اغتسلا وغيرا ملابسهما، ثم أخذا «زنجر» معهما ونزلا إلى السيارة التي انطلقت إلى شاطئ الميناء الشرقي ... وسرعان ما عثروا على القارب الذي تركه «بورتللي» بعد أن وصل به إلى الشاطئ ...

وكان بعض الصِّبية يلعبون على ضوء الشارع ... فسألهما الضابط عن صاحب القارب وهل شاهدوه، فقال أحدهم: كنت هنا منذ أكثر من ساعة ... وقد شاهدت الرجل وهو يُغادِر القارب ومعه كلب أصفر اللون.

تختخ: تمامًا إنه هو والكلب «الكوكر»!

الضابط: وإلى أين اتجه؟

الولد: كانت هناك سيارة تقف هنا ... ركبها.

الضابط: هل تعرف لون السيارة أو نوعها أو رقمها.

الولد: لونها أحمر ... ماركة «فيات».

الضابط: كبيرة أو صغيرة؟

الولد: كبيرة ... ومن طراز حديث!

ودخل الضابط إلى السيارة، واستخدم جهاز اللاسلكي ... وأخذ يتحدث ويستمع لحظات ثم قال: إن قوات المرور وحرس السواحل والمباحث كلها تبحث عن سيارة من هذا النوع ... وسيتصلون بنا بمجرد العثور عليها.

وجلسوا جميعًا في السيارة صامتين ... ومضى الوقت بطيئًا حتى أحسوا بالضيق ... ولكن فجأة دق جهاز اللاسلكي ... واستمع الضابط لحظات ثم قال لـ «محب» و«تختخ»: شوهدت سيارة من هذا النوع متجهة غربًا في طريق «السلوم».

ثم أعطى أوامره فانطلقت السيارة كالصاروخ متجهة إلى الغرب ... ومضى الضابط الشاب يتحدث في جهاز اللاسلكي ويستمع ... و«محب» و«تختخ» جالسان يدعوان الله أن تقع العصابة ... ويقع «بورتللي»، حتى يتأكد الجميع من صحة روايتهما ... وحتى لا تنتهي المغامرة إلى لا شيء.

مضت السيارة حتى خلفت وراءها الإسكندرية ... ودخلت الطريق الصحراوي الغربي إلى «السلوم» ... ومضى الوقت والسيارة منطلقة بأقصى قوتها ... وفجأة استمع الضابط الشاب إلى اللاسلكي وابتسم ثم قال لـ «محب» و«تختخ»: لقد وقعت السفينة ... استسلمَت للزَّورق المسلَّح ... ويتم الآن استجواب ركابها ... وقد عُثر في أماكن سرية من السفينة على بعض الآثار المسروقة.

ابتسم «محب» و«تختخ» ومدَّا يديهما يصافحان الضابط، وقال «تختخ»: إننا حتى الآن لا نعرف اسمك.

الضابط: اسمي «سميح»!

تختخ: إنك ضابط عظيم.

الضابط: لا شيء أكثر من أداء الواجب.

وفجأة نبح «زنجر» نباحًا قويًّا متصلًا ... وأخذ يحاول القفز من السيارة، فقال «تختخ»: أرجو أن نتوقف.

الضابط: لماذا؟

تختخ: إن «زنجر» يشم شيئًا يهمنا.

وأمر الضابط بإيقاف السيارة وقفز «زنجر» دون انتظار ... ووقف على الأرض لحظات رافعًا رأسه إلى فوق يتشمم ... ثم أطلق نباحه ... ومن داخل الصحراء المظلمة جاءه الرد ... نباح آخر.

قال «تختخ»: إنه «الكوكر» الأصفر!

وألقى الضابط أوامره إلى الجنود ... وسرعان ما كان الثلاثة يُشهرون أسلحتهم الأتوماتيكية ... والضابط يخرج مسدسه ... بينما تولى «تختخ» و«محب» حمل الكشافات القوية التي أضاءت المنطقة.

وساروا جميعًا و«زنجر» أمامهم ... وفجأة انطلقت رصاصة ... وتهشَّم أحد الكشافات ... وصاح الضابط: انبطحوا أرضًا!

وانبطح الجميع ... وأخذ جسد «زنجر» يرتجف وهو يحاول الانطلاق، ولكن «تختخ» كان يمنعه ... وقال الضابط هامسًا: سنتقدَّم زاحفين ... أطفئ الكشاف يا «توفيق» فقد حددت الاتجاه.

وأخذوا يتقدمون زاحفين على الرمال ... وبعد مسافة قصيرة شاهدوا على ضوء النجوم كوخًا صغيرًا مظلمًا ... واختار الضابط مرتفعًا من الرمال تحصنوا خلفه، ثم أمسك بالكشاف فأطلق ضوءه على الكوخ المظلم ... وقال لأحد الجنود: دفعة من الرصاص فوق الكوخ.

ودوت الطلقات في الظلام مرسلة خيطًا متقطعًا من الضوء فوق الكوخ الساكن ... ومضت لحظات ... وقال الضابط لأحد الجنود: هات البوق من السيارة! ... وأسرع الجندي وعاد ومعه البوق.

وأمسك الضابط ببوقه وقال: والآن اخرج يا «بورتللي» فأنت محاصَر.

قالها بلغة إنجليزية واضحة ... ولكن أحدًا لم يرد، فعاد يقول: سأُعطيك مهلة دقيقة واحدة.

ومضت الدقيقة ... وأشار الضابط للجندي فأطلق دفعة من الرصاص على الكوخ وسمع صوت نباح ... ثم ظهر شبح «بورتللي» خارجًا من الباب رافعًا يديه ...

صاح به «الضابط»: تقدَّم وألقِ سلاحك.

وتقدم مُتعثِّرًا وبجواره الكلب «الكوكر» ... حتى إذا أصبح على بُعد نحو مترين منهم وقف الضابط وقال له: إنني أُلقي القبض عليك بتهمة سرقة آثار مصرية.

ولم يرد «بورتللي».

فقال «الضابط»: أين السيارة؟

في هذه المرة رد «بورتلي»: خلف التل هناك.

الضابط: سأذهب معك لإحضارها ... ولا تُحاول عمل شيء ...

ووقف الجميع ... وسرعان ما كانت السيارة تعود يقودها «بورتلي» والضابط بجواره شاهرًا مسدسه ... وقفز «زنجر» إلى «الكوكر» الأصفر ... وأخذ الكلبان يتشمَّمان أحدهما الآخر ... ثم ركب «تختخ» و«محب» والكلبان في المقعد الخلفي وانطلقت «الفيات» وخلفها سيارة الحرس.

كان الهواء منعشًا والسيارتان تقتربان من الإسكندرية ... وأحس «تختخ» و«محب» و«زنجر» أنهم أدَّوا مهمَّة عظيمة وأنجزوا مغامرة لا مثيل لها.


هنداوي